مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٥:٨-١٩)

يا إخوةُ اسلُكوا كأولادِ للنور* (فإنَّ ثمر الروح هو في كلِّ صلاحٍ وبِرٍّ وحقّ)* مختَبرين ما هوَ مَرضيٌّ لدى الرب* ولا تشتَرِكوا في أعمالِ الظُلمَةِ غير المثمرةِ بل بالأحرى وبّخوا عليها* فإنَّ الأفعالَ التي يفعلونها سِرًّا يقبُحُ ذكرُها أيضًا* لكنَّ كلَّ ما يُوبَّخُ عليهِ يُعلَنُ بالنور. فإنَّ كلَّ ما يُعلَنُ هو نورٌ* ولذلكَ يقولُ استيقِظْ أيُّها النائِمُ وقُمْ من بينِ الأمواتِ فيُضيءَ لكَ المسيح* فانظُروا إذًا أن تسلُكوا بحَذَرٍ لا كَجُهَلاءَ* بل كحُكَماءَ مُفتَدينَ الوقتَ فإنَّ الأيامَ شريرةٌ* فلذلك لا تكونوا أغبياءَ بل افهَموا ما مشيئَةُ الرب* ولا تسكَروا بالخَمرِ التي فيها الدعارَةُ بل امتَلئوا بالروح* مكلّمين بعضُكم بعضًا بمزاميرَ وتسابيحَ وأغانيَّ روحيّةٍ مرنّمين ومرتلين في قلوبكم للرب.

الفتية الثلاثة في الليتورجيا

شكّل الكتاب المقدس المركز الأساسي في حياة المؤمنين لكونه كلمة الله المحيية. لكنه بالإضافة إلى ذلك شكّل مادة للتسبيح لما يحويه من أناشيد وتسابيح كان المؤمنون ينشدونها ويستخدمونها كصلاة شخصية. وقد اختار الآباء القديسون الذين نظموا العبادة في الكنيسة ورتّبوا الصلوات، بعض هذه التسابيح ورتّبوها في صلاة السحر ضمن تسع تسابيح: الأولى تسبحة موسى (خروج ١٥: ١-١٩)، الثانية تسبحة أخرى لموسى (تثنية الاشتراع ٣٢: ١-٤٣)، الثالثة صلاة حنّة أم صموئيل النبي (١ صموئيل ٢: ١-١٠)، الرابعة صلاة حبقوق النبي (حبقوق ٣: ١-١٩)، الخامسة صلاة أشعياء النبي (أشعياء ٢٦: ٩-٢٠)، السادسة صلاة يونان النبي (يونان ٢: ٢-٩)، السابعة والثامنة صلاة الفتية الثلاثة القديسين (وقد أُخذت من الترجمة السبعينية لسفر دانيال النبي، الإصحاح الثالث)، والتاسعة تسبحة والدة الإله (لو١: ٤٦-٥٥).

العدد ٢٠٠٤/٥٠
الأحد ١٢ كانون الأول
أحد الأجداد
تذكار أبينا الجليل في القديسين سبيريدون العجائبي أسقف مدينة تريمثوس في جزيرة قبرص
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر السادس

في مرحلة لاحقة راح بعض الآباء ينظمون تراتيل متنوعة تتميّز الواحدة عن الأخرى بأسلوب نظمها. أحد هذه الأساليب عُرف بالقانون، وقد ارتبط القانون بالتسابيح التسع المذكورة آنفًا. يتألف القانون من تسع مجموعات تسمى الواحدة منها «أودية» (كلمة يونانية تعني أيضًا تسبحة)، وتتألف كل أودية من قطعة أساسية تسمى «إرمس» وقطع أخرى يتراوح عددها من الأربعة إلى الستة وتسمى «طروباريات». يرتبط موضوع الإرمس مباشرة بالتسبحة التي توازيه. فإرمس الأودية السابعة وإرمس الأودية الثامنة يرتبط مباشرة بتسبحة الفتية الثلاثة في أتون النار: «إن الفتية المتألهي العقول لم يعبدوا الخليقة دون الخالق، بل وطئوا وعيد النار بشجاعة فرتلوا فرحين: أيها الفائق التسبيح مبارك أنت يا إله آبائنا» (إرمس الأودية السابعة من كاطافاسيات السيدة «أفتح فمي»)

في ما يلي سنعرض قصة الفتية الثلاثة ودورها في حياتنا كما يعرضها لنا ناظمو التسابيح في صلواتنا اليوميَّة.

ترد قصة الفتية الثلاثة في الإصحاح

الإنجيل

(لوقا ١٤:١٦-٢٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنعَ عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يستعفون. فقال لهُ الأول قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعفِيَني* وقال الآخرَ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبها فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبرَ سيّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدِهِ اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما امرتَ بهِ ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيِّدَ للعبد اخرُج إلى الطُّرقِ والأسيْجةِ واضطَرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّهُ لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئكِ الرجال المدعوين لأن المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون.

الثالث من سفر دانيال النبي. ففي أيام الملك الفارسي نبوخذ نصر تولى شدرخ وميشخ وعبدنغو أعمال ولاية بابل بطلب من دانيال النبي. وقد صنع الملك لنفسه تمثالاً ودعا جميع الشعوب الذين تحت سلطته للسجود له وعبادته. وفي اليوم المحدد للاحتفال سجدت كل الشعوب ما عدا الفتية الثلاثة، فاشتكى رجال كلدانيون عليهم. استدعاهم الملك وهددهم بإلقائهم في أتون النار إن لم يسجدوا للتمثال. إلا أن جوابهم كان قاطعًا «هوذا يوجد إلهُنا الذي نعبُدُهُ يستطيعُ أن ينجيَّنا من أتونِ النارِ المُتَّقِدَةِ وأن يُنقِذَنا من يَدِكَ أيُّها الملِكُ. وإلاَّ فليكُن معلومًا لكَ أيُّها الملِكُ أنَّنا لا نعبُدُ آلِهَتَكَ ولا نسجُدُ لتمثالِ الذَّهَبِ الذي نصبتَهُ» (٣: ١٧-١٨). حينئذ غضب الملك وزجّهم في الأتون. غير أن ملاك الرب انحدر في وسطهم وحفظهم من النار. فسبّحوا الرب في الأتون مباركينه ومعترفين بخطاياهم وبعدالة الله وشاكرينه على إنقاذه إياهم. وعندما رأى الملك ذلك بارك «إلـه شدرَخَ وميشَخَ وعبدَنغو الذي أرسلَ ملاكَهُ وأنقَذَ عبيدَهُ الذينَ اتّكلوا عليهِ وغيَّروا كلِمَةَ الملِكِ وأسلموا أجسادَهم لكيلا يعبُدوا أو يسجُدوا لإلهٍ غيرِ إلـهِهِم» (٣:٢٨).

تجدر الملاحظة إلى أن هذه القصة تُقرأ في خدمة الفصح نهار السبت العظيم (سبت النور) حين تُقام صلاة الغروب مع قداس القديس باسيليوس الكبير.

لقد وعى ناظمو التسابيح أهمية قصة الفتية الثلاثة في حياة كل مؤمن، وخاصة تسبحتهم في وسط أتون النار التي أصبحت تسبحة كل إنسان يقف في حضرة الله وهو في خضم المصاعب والمحن التي تحيط به من كل صوب. لذلك شددت التراتيل، التي نُظمت على قصة الفتية الثلاثة، على عدة أوجه تمسّ حياتنا مع الله.

أخطر ما يواجهنا عند وقوعنا في المصاعب والاضطهاد هو المساومة على إيماننا بالله، فيصير إيماننا على المحك. غير أن موقف الفتية الثلاثة كان واضحًا وقاطعًا، فإنهم «لم يعبدوا الخليقة دون الخالق» «إذ قد نشأوا على حسن العبادة» فأصبحوا بذلك «مناضلين عن عبادة الله»، بسبب حبهم له: «إن العشق الإلهي قد خذل الغضب الوحشي والنار فندّى النار». محبتهم لله هذه دفعتهم إلى الهزء بأمر المَلِك: «إن الفتية لما تمسكوا بمحبة مَلِك الكل ازدروا بهذرِ وتجديفِ المغتصب الملحد». «لقد بصق الفتية الثلاثة المثلّثو السعادة على التمثال الذهبي ازدراءً به». لم ينفع تهديد الملك لهم برميهم في الأتون، فإنهم واجهوه بشجاعة و«لم يجزعوا من وعيد النار» بل وطئوه «بشجاعة» و«انتصروا متّحدين في النار التي لا تطاق». «لم يَرُعْهم الغضب الوحشي ولا النار الآكلة». كما أنهم واجهوا مصيرهم بفرح وكأنهم عارفون أنهم سيقفون في حضرة الله: «إن الفتية الذين ظهروا في القديم لِحُسْنِ عبادتهم قديسي الله دخلوا لهيب الأتون الذي لا يُطاق كأنهم داخلون إلى خدر (إلى عرس)»، و«كانوا يرتكضون (يرقصون فرحًا) في الأتون مقتدين بالشاروبيم».

إن التقوى والفضيلة والصلاة هي درعٌ للمؤمن وسيفٌ في آنٍ واحد، فهي ترد عنه المصاعب وتحميه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها تقطع أصل هذه المصاعب والمحن: «إن الفتية تلألأوا ببهاء التقوى في الأتون، فظهروا أنقى من الذهب» و«أخمدوا قوة النار لتمنطقهم بالفضيلة» كما أن «صلاة الفتية صارت مطفئة النار».

تأمل

لعمري ان موقع هذا المَثَل شديدٌ على ذوي الأذهان الصافية والأفكار السليمة فكيف على الأشرار والجهَّال. أما سمعت يا هذا كيف طرد المعتذرين بالأشغال العالمية عن الدخول إلى الحياة السعيدة. هل فهمت قوله: انني هيَّأت الأطعمة والأشربة وصنعت كل ما ينبغي وأرسلت عبيدي لإحضاركم، فاعتذر أحدكم بالزواج، والآخر بذهابه إلى الحقل، والآخر بتجريب البقر، فاخترت لي مدعوّين غيركم.

غضب صاحب الوليمة وأرسل عبيده إلى شوارع المدينة وقوارع الطرق ودعا أناساً آخرين وحلف ان لا يحضر طعامه الأوَّلون. فأيُّ عذرٍ لنا الآن وهو يحثُّنا دائماً ويدعونا إلى وليمته السماويَّة وينبّهنا بالتعاليم والمواعظ والأمثال ونحن لا نزال متهاونين ومتشاغلين وغافلين عن دعوته. فإنه إذا كان الذين يعلّمون الكتابة والصنائع العالمية إذا رأوا التلاميذ يُهمِلون دروسهم ويتشاغلون عن محفوظاتهم ويسارعون إلى اللعب والملاهي يقلقون من ذلك ويتضجَّرون. فكيف نحن المرشدين لا نحزن ونقلق ونتضجَّر إذا رأيناكم مهملين التعاليم الإلهيَّة ومتغافلين عن سماعها. لأننا نكون مثل الذي يزرع على الصخرة الصمَّاءِ ويُلقي بذارهُ في الأراضي الشائكة

كل هذه الصلوات والتراتيل تدفعنا إلى الاقتداء بالفتية الثلاثة فنتمسك بمحبتنا لله ولا نساوم على إيماننا به. نعترف بخطايانا وبأننا نستحق كل ما يأتي علينا من شر لأننا خطئنا أمام الله ونطلب منه أن ينقذنا كما أنقذ الفتية الثلاثة في الأتون بحضوره بينهم، ساعين أن نمتلك الفضائل والعبادة الحسنة: «لقد أخطأنا وأثمنا وظلمنا أمامك ولم نحفظ ما أمرتنا ولا عملنا به، لكن لا تسلمنا إلى الانقضاء يا إله آبائنا». «كما ندّيت قديمًا الفتية الثلاثة الحسني العبادة بنار اللاهوت المنيرة أضئنا نحن أيضًا». «إننا نحن الذين اقتبلنا ندى الروح نقتدي بالفتية في الأتون فنصرخ بإيمان: باركوا الرب يا أعماله».

تعليم الرب يسوع: انقضاء الدهر (تابع)

قلنا سابقاً ان «مجيء ابن الإنسان» بالنسبة لنا اليوم قد يكون إمَّا عبر موتنا أو عبر نهاية العالم التي قد تحدث في أي وقت. مجيء ابن الإنسان سوف يكون على غفلة: «كما كانت أيام نوح ... قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويزوّجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفُلك. ولم يعلموا متى جاء الطوفان وأخذ الجميع... حينئذٍ يكون إثنان في الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر» (متى ٢٤: ٣٧–٤٠). المهم انه متى جاء ابن الإنسان يجد كلَّ واحد منا مثل ذلك «العبد الأمين الحكيم الذي أقامهُ سيِّدُهُ على خَدَمِهِ ليُعطيهم الطَّعامَ في حينِهِ. طوبى لذلك العبدِ الذي إذا جاءَ سيِّدُهُ يجِدُهُ يفعلُ هكذا. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهُ يُقيمهُ على جميعِ أموالِه» (متى ٢٤: ٤٥–٤٧). لذلك على كل مؤمن أن يكون متيقظاً ومتهيئاً لمواجهة السيد. ولأننا لا نعرف متى المواجهة فالدعوة أن «اسهروا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم» (متى ٢٤:٤٢). قد يقول البعض: ما زال أمامنا الوقت الكافي لنهيّء أنفسنا للقاء الرب. هؤلاء لم يسمعوا ما قاله الرب لذاك الجاهل الذي بنى الأهراءات الكبيرة دون الاتكال على الرب: «يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك» (لوقا ١٢:٢٠).

علينا أن نكون دائمي الإستعداد. كل واحد منا واجه الموت الفجائي مع أعزاءٍ له، أو تألم لموت الشباب والصغار، ولا خيمة فوق رأس أحد. أما كيف نستعد فيوضحه لنا الرب في ثلاثة أمثلة: العذارى العشر (متى ٢٥: ١–١٣)، الوزنات (متى ٢٥:١٤ –٣٠) والدينونة (متى ٢٥: ٣١– ٤٦).

الأمثولة المشتركة بين هذه الأمثلة هي ضرورة القيام بالأعمال الصالحة للدخول إلى الملكوت. مَثَل العذارى يتحدَّث عن عشر عذارى ينتظرن لقاء العريس. أي جميعهن يملكن الإيمان الصحيح. الفرق ان الجاهلات لم يأخذن معهنَّ زيتاً، ولما أتى العريس لم تعطيهنَّ الحكيمات من زيتهنَّ. زيت المصابيح هو أعمال الرحمة التي يقوم بها الإنسان: «فليُضئ نورُكم هكذا قدَّامَ الناس لكي يرَوا أعمالَكم الحسنة ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥:١٦). لا يمكن للإنسان أن يُجيِّر أعماله الصالحة إلى أي إنسان آخر. كل إنسان مسؤول عن أعماله الشخصية ويُحاسَب وحده عليها. لذلك الحديث هنا عن عذارى جيِّدات لا يرتكبن الخطايا، لكن هذا لا يكفي لدخول الملكوت. يجب أن تحمل معك الأعمال الصالحة، وأن لا تنتظر المستقبل لأن الوقت قد يباغتك ويغلَق باب الملكوت دونك.

في مَثَل الوزنات نقرأ عن إنسان

أو يعلّم المجانين أو يخاطب الجمادات. فإن أمثال هؤلاء يضيِّعون أتعابهم باطلاً. وأما نحن فقد ألقينا الفضَّة على المائدة وصنعنا كل ما يلزمنا لكم بمحبّةٍ ونشاطٍ. فإن قلتم وما هو الدليل على إهمالنا التعاليم وإعراضنا عن استماع المواعظ قلتُ ان سيدنا لهُ المجد يقول مِن أثمارهم تعرفونهم. فإذا كان فيكم إلى الآن بعد استماع التعاليم والعظات من يذهب إلى الملاعب ومجالس اللهو والمشعوذين ومحاضر السكيرين والفسَّاق والمخنَّثين والمستهزئين وأمثالهم أفما يدلُّ هذا على إهمالكم التعاليم ونسيانكم العظات. أما يضحك عليكم الحنفاءُ واليهود الذين يسمعون أقوال شريعتكم ويرون أعمالكم المخالفة لها. لا تمكّنوا الشيطان من إغوائكم. ولا تتغاضوا عن المحافظة على سفينتكم. فإن رياح التجارب شديدة وأمواج المحن هائلة، والبحر كثير الصخور والمعاثر، والبرَّ كثير اللصوص والخاطفين. بل كونوا في كل حين متحذّرين خائفين حافظين كنوزكم طائعين أوامر ربكم لتفوزوا بنعيمه الدائم في ملكوته الأبديّ بنعمة فادينا يسوع المسيح الذي لهُ المجد إلى الأبد. آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

مسافر سلَّم عبيده وزنات ليتاجروا بها. واحدٌ خمس وزنات وآخر وزنتان، وآخر وزنة واحدة. الذي أخذ الوزنة ليس سيء النيَّة ولا سكيراً أو مقامراً ولا مبذراً للمال أو غشاشاً. ذهب وطمر الوزنة التي أعطاه إيَّاه سيّده، حتى انه لم يصرف ولا قرشاً واحداً منها، ولما أتى سيِّده أعاد له المال كاملاً غير منقوص. أين مشكلته إذاً؟ إنها في كسله وخوفه. لم يعمل بوزنته ولم يثمّرها. خاف من العمل: «فخفتُ ومضيتُ وأخفيتُ وزنتكَ في الأرض» (متى ٢٥: ٢٥). لقد كان إيمانه بسيِّده نظرياً وكلامياً فقط. لو كان مؤمناً بالرب بالفعل لما خاف. إيمان صاحب الوزنة الواحدة هو مثل إيمان ذاك الذي قال عنه الرب: «كلُّ مَن يسمعُ أقوالي هذه ولا يعملُ بها يُشبَّهُ برجل جاهل بنى بيتهُ على الرمل، فنَزَلَ المطرُ وجَاءتِ الأنهارُ وهبَّتِ الرياحُ وصدمتْ ذلكَ البيتَ فسقطَ وكان سقوطهُ عظيماً» (متى ٧: ٢٦–٢٧). لا يُسمح للإنسان المسيحي أن لا يعمل شيئاً بانتظار الملكوت. هذا لا ينفعه. أن لا ترتكب الخطايا ليس سبباً كافياً لتدخل الملكوت. أن تكون على الحياد لا يكفي. يجب أن تكون مع يسوع وتقوم بالأعمال الصالحة. يقول الرب: «مَن ليسَ معي فهو عليَّ، ومَن لا يجمعُ معي فهو يُفرِّقُ» (متى ١٢: ٣٠).

مَن يسأل: ماذا أعمل لأجمع مع السيد وأرث الملكوت؟ يأتيه الجواب من السيد: «لأني جُعتُ فأطعمتُموني، عَطِشْتُ فسقيتموني، كنتُ غريباً فآويتموني، عُرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليَّ... الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم فعلتموهُ بأحدِ إخوتي هؤلاء الأصاغِر فبي فعلتم» (متى ٢٥:٣٥– ٤٠،٣٦). عندما نعمل الصلاح مع الصغار يجب أن نعي ان هؤلاء الصغار هم نعمة وضعها الرب أمامنا لنمارس إيماننا الصالح من خلالهم. لذا ينبغي أن نشكر الرب انه وضعهم في طريقنا لكي نستطيع الولوج إلى الملكوت، فلا نستكبر أننا أفضل منهم. هذه الأعمال هي زيت المصابيح الذي ينير مصباح كل واحد منا، وهي ثمرة المواهب الروحية، الوزنات، التي أعطانا إيَّاها الرب.

لقد قال الرب: «اذهبوا وتعلَّموا ما هو. إنّي أريد رحمةً لا ذبيحةً. لأنّي لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطأة إلى التوبة» (متى ٩: ١٣). أعمال الرحمة والصلاح هي جواز السفر الذي سوف يدخلنا إلى ملكوت الله متى انقضى الدهر وجاء ابن الإنسان في مجده.

عودة ذخائر قديسين

في مبادرة أخوية أعاد الفاتيكان، بأمر من قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، ذخائر رئيسي أساقفة القسطنطينية القديسَين غريغوريوس اللاهوتي (٣٧٩ – ٣٨١) ويوحنا الذهبي الفم (٣٩٨ – ٤٠٤) إلى البطريركية المسكونية في اسطنبول. وقد حمل الذخائر إلى القسطنطينية الكاردينال والتر كاسبر، رئيس مجمع التشجيع على الوحدة المسيحية، مساء السبت ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٠٤. وكانت هذه الذخائر نُقلت إلى روما عام ١٢٠٤ أثناء الحملة الصليبية الرابعة وعادت لتستقر في كنيسة القديس جاورجيوس في اسطنبول بعد ٨٠٠ سنة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb